امتلاء ومن يقدر المنفعة العامة ويخدمها ولو كان ذلك يؤدي في بعض الاحيان الى ضرره الذاتي، تهز مجدل في جميع الازمنة في نظر امته ونظر الانسانية.

حكمت اثينة طالما على سقراط بشرب السم. فبدلاً من ان يركب العار ويفر من قانون امته رضي محكوماً بالجور وتجرع كأس السم صابراً غير جازع فحب الامة وحسن الفداء بمنطقها الحسيسة يجب ان يسير افتدتنا ويملي مقاصدنا وما احسن ما كتب على نصب قبر احد اولئك الابطال الذين فادوا بلادهم في حرب ترموبيل حيث امتنعوا فيها الفار اذهب وخبر اسبارطة اننا رقدنا في هذا المكان الاحياً باعلاء شرفها وتأييد حريتها! وهل فعلت الاعراب اقل من ذلك وما السابق الذي دفع طارق بن زياد ان يحرق المراكب ويبادي بعسكره الموت او الظفر؟ وما الذي ساق محمداً المنصور الوزير الاندلسي الشهير ان يتصدد على الخليج ويصد النهر بنفسه اذا لم يكن حب الوظيفة وحب الامة والوطن.

الفضيلة التي تأمر الانسان ان يضع نفسه دون مبادئه العالية هي من اول الفضائل التي سطرها التاريخ على صفحاته. فلنجد ايها الاخوان؛ لاكتسابها فان لنا باكتسابها الفوز العظيم

ترعة السويس وتجارة الشرق

عرف أن التجارة اول نشأتها لم تتجاوز البحر المتوسط بل حصرت في سواحل فينيقية وبلاد الكلدان والعربية وغيرها من بلاد المشرق ايام توفرت لديها المعارف والعلوم وابتدعت فيها انواع الصنائع والفنون حتى صارت محط رحال التجارة من المشارق والمغارب وخزينة الاموال ومورد الثمرات والمكاسب يهرع اليها الهاتفون من كل فج وصوب ليشاطروها الارباح العظيمة ويسلبوها الصنائع العجيبة ويتهافت عليها العراة تهافت الفراش على السراج ولكنهم ما كانوا يقنعون بذلك بل كان تهافتهم وبالاً عليهم في كل آن.

وبقيت عنايب الرياح والخيرات تهل على الشرقيين فتتدفق عليهم سيول اثراء من سحاب الكد والجد الى ان نظر اليهم الزمان بعين مسلوها الحسد فلم الافرنج ان يكتشفوا طريقاً جديداً الى الهند فآل الامر الى فاسكودي غاما ذلك الرحالة العظيم الذي وجد طريقاً حول رأس الرجاء الصالح وحول بذلك المشروع

جانباً كبيراً من تجارة الهند والصين ليسقي به ربوع الغرب فارتفعت من معينه انكلترا واسبانيا والبرتغال وهولاندة حتى عمت الفائدة اغلب اقسام اوربا وبقي للشرقيين مذ ذاك الوقت جزء يسيرٌ من التجارة يرد بطريق حلب ودمشق ومصر نظراً لما كانوا يحملون انفسهم على المخاوف والاخطار ويركبون الغرر والاهوال في طريقهم حول رأس الرجاء الصالح او اريقية واخذ يتزايد يوماً فيوماً الى ان فتحت ترعة السويس سنة ١٨٦٩ على يد دي لسبس المهندس الفرنسوي الشهير فدار بذلك دولاب التجارة وعم نفعها العالم غير انها مع كثرة منافعها اليه ما كانت لتخلو من مضار السلطنة التي فتحت فيها ودابت بهيج رجالها في حفر رمالها وعطلت من اجلها تجارتها بل كانت منفعتها لمن قاوم في انشائها اشد المقاومة الا وهي السلطنة الانكليزية التي استأثرت باكثر فوائدها .

اجل ان فتح تلك الترعة كان سبباً من اهم الاسباب لتوسيع تجارة العالم وامتدادها لكن الذين باشروا ذلك المشروع وكابدوا فيه عرق القربة قد قلب لهم الدهر ظهر المجن وتبدل نعيمهم بالبؤس كما يشهد بذلك شرفي سورية واسفل العراق ومدينة حلب التي كانت مركز المواصلات التجارية بين اوربا والهند فقد فقدت واردات تجارتها وعكس ذلك البصرة اذ صار لها بطريق السويس اوسع الابواب لتصدير حاصلاتها كما تدلنا الآثار على ذلك .

كان طريق فاسكودي غاما الى الهند حول رأس الرجاء الصالح طريقاً خطراً يقرع فيه المسافرون كأس الضيم وتفتجع السفن فحم المهلكات حتى كانت تتراخى مدة السفن الذاهبة الى الهند فكانت تنقضي في سفرها اكثر السنة ولم يكن وصولها معروفاً حق المعرفة ولذلك أجبرت التجار ان تخزن جانباً كبيراً من البضائع في مخازنها حذراً من ان لا يكون في مخازنها ما يفي بالمطلوب اذا ما أعيقت السفن عن الوصول اليهم في الوقت المعين . اما الآن وقد صارت مدة السفر ثلاثين يوماً لاغير فاستغنى التجار عن المخازن الكبيرة وابتدأت تطلب بضائعها من الشرق وهي على يقين من وصولها في الوقت المعين وزد على ذلك فان نقل الحنطة من الهند واليمن واوستراليا وزيلندا الجديدة لم يكن ممكناً قبل فتح الترعة اما الآن فقد صار من اوسع ابواب التجارة .

وقد ادرك كثيرون من عظماء رجال العالم كرعمسيس ونحو ودارا هشتاسب وبطليموس وبابليون وغيرهم مكانة تلك الترعة التجارية فحفر رعمسيس الثاني سنة

١٣٠٠ ق . م ترعة وصل بها فرع النيل الشرقي بالبحر الاحمر وما كانت تصلح الا لتسريب المياه ورجما كان ذلك مقصده الاكبر . وعاد فحوتسنة ٦٠٠ ق . م على تنبيهها لولا ان الباب الفرعون ان يحفرها ينفع بها اعداءه بلاده وما زاده ايقاناً بهذه من ان مياه البحر الاحمر اعلى من سطح مصر فخاف عندئذ على بلاده وتوقف عن حفرها بعد ما انفق فيها نحواً من ٢٠٠٠٠ نفس من السريين . ثم اشتغل بها دارا هشتاسب وبطليموس الثاني كما ابانا التاريخ فعرا تلك الترعة وبقيت الى ان ردمتها الرمال قبل ايام طرجان فاصلحها في القرن الثاني وعادت الرمال فردمتها مرة اخرى الى فتوح العرب من سنة ٦٣٨ الى ٦٤٠ فاصلحها عندئذ عمرو بن العاص فالفها جيوش عمر بن الخطاب وسماها ترعة امير المؤمنين . ثم طمرها هذه الخليفة المنصور ابو جعفر ثاني خلفاء العباسيين ليقطع الطعام عن محمد بن عبد الله حينما خرج عليه في المدينة فبقيت مطمورة من ذلك الحين الى ان اختطرها الحاكم بامر الله من خلفاء الفاطميين في مصر وجعلها خالية بملاحة حتى ردمتها الرمال مرة اخرى وبقيت الآثار تدل على ذلك .

ثم جاء نابوليون الى مصر ورأى آثار تلك الترعة فخال سهلاً خاطره ان يحفرها فيقصر عندئذ ان يحمل جنوده الى الهند فيحسر الانكليز على الخروج من تلك الديار وهكذا عرض مشروعاً هذا على مهندسيه الموسيو لبير وقع فيه وافقه المصريون من قبل وقال ان سطح البحر الاحمر اعلى من سطح البحر المتوسط بعشرة امتار فاذا فتحت الترعة تدفق من خلجان الماء . فبقيت المسألة على . فلما بلغه الى ان ثبت الاحوال بخروج نابوليون من مصر فبقط عليه مشروعه وخرج وهو يردد هذه الكلمات :

« ان هذا العمل العظيم لم يقدر لي عمله ولعل الدولة العثمانية تسترجع عظمتها يوماً ما بفضله » .

وظل مهندسو تلك العصر يعتقدون بارتفاع سطح البحر الاحمر عن البحر المتوسط الى ان قام المهندس الفرنساوي الشهير ريزو في سنة ١٨٦٤ وقرر ان لا فرق بين ارتفاع البحرين واقنعت عندئذ فرنسا وانكلترا والنمسا والسويد بوجهة من الموسيو ثلاثيت والسير سيلياس والسينيور نغرلي فحقق الامر عندئذ سير ان المهندس الانكليزي لم يتصوب لسياسة في تلك الترعة وخوفه انهيال الرمال عليها وخسارة الهند بذلك المشروع فعاد الى وطنه واضعف عزيمة مواطنيه فأوقفهم كلامه

وعدلوا عن انشائها .

وبقيت تلك المسألة موضوع البحث الى ان قضت الأمور بان يتم هذا المشروع العظيم على يد دي ليسبس المهندس الفرنساوي بعد ما استشرى طويلاً ووقف على فحوى ما ارتآه المهندسون في ذلك المشروع وعرف ان تجارة البلاد تتضاعف بها كل عشر سنوات . وهكذا آلى على نفسه بان يفتح تلك الترعة فألف شركة مدنية تحت عنوان شركة ترعة السويس العامة القائمون بهذا العمل فذهب الى الاستانة فسعى في هذا المشروع فلم يلقَ هناك الا ما يخيب الآمال ، ويثبط العزائم وهكذا آب الى بلاده محزوناً ولبث مدة في وطنه الى ان تقلد سعيد باشا على مصر سنة ١٨٥٤ فلجأ اليه اذ كانت بينهما صداقة متينة العرى واقنعه بوجوب فتح تلك الترعة التي بها يتوسع نطاق التجارة وتجر مصر ذيول الثراء الى ربوعه كلامه والتمع بالفه دي ليسبس وعقد امتيازاً مع تلك الشركة باليه اثنا عشر بنداً اهمها ان مدة الامتياز ٩٩ سنة يبتدئ من يوم فتح الترعة وعند انقضاء المدة تستلم الحكومة جميع اموال الشركة فللحكومة مقامها في كل عمل واصيف هذا البند الذي يجوز للشركة احالة المدة او تجديد الامتياز بشرط ان تزيد ما تدفعه الحكومة من صافي الارباح واتها اي الحكومة تأخذ ١٥ في المئة من صافي الارباح بعد رجحها من الاسهم التي تكون لها والخمسة والثلاثين الباقية من المائة يعطى منها ٧٥ للمساهمين و ١٠ في المئة للمؤسسين ثم ان الشركة تتعهد بالاتفاق مع الحكومة المصرية بما يؤخذ في السفن من رسم المرور من الترعة ويجري هذا الرسم على سفن جميع الدول بلا تمييز

وفي ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ فتحت الترعة لمرور المراكب فاجتازها احد عشر سفينة بالحفال عظيم اعدته اسماعيل باشا معدات عظيمة ودعا اليه ملوك اوربا وامراءها فصرف لذلك الاحتفال اموالاً طائلة كانت سبباً من اهم الاسباب لتأخر صندوق الحكومة المصرية في ذلك الحين . وهكذا ابتدأت الشركة وراس مالها ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك مؤلف من ٤٠٠٠٠٠ سهم صغر السهم ٥٠٠ فرنك بعد ما عددت عليها المحاكمات وتوقفت عن العمل مدة سنتين وحكموا بتلك المسألة امبراطور فرنسا في ذلك العهد فرجع الامر الى من يقوم به وبادت الشركة للعمل جهة وشاط وبحسن بحاجة عظيماً لم تتجهه لها شركة مساهمة مثلها

وعلى كل ما تقدم اضطر اسماعيل باشا الى الاحتمال عند تمام الترعة ١٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك وهو السبب الأكبر الذي حمله على بيع حصة مصر من اسهم السويس وهكذا سنة ١٨٧٥ قد باع اسماعيل باشا تلك الأسهم وعددها ٢٦٦٠٢ من الاسهم ثمن السهم ٥٠٠ فرنك فاصبح الحكوال سنة ثلث فصل اكثرا في مصر واشتراها باسم الحكومة الانكليزية بقيمة اربعة ملايين جنيه التي قد قدرت سنة ١٩٠٦ باحد وثلاثين مليونا من الجنيهات .

وهنا يجب ان يضاف اخراج الشركة للحكومة المصرية الاعوام التي تعطي الشركة للحكومة المصرية از عة ملايين من الجنيهات مقابل اعمالة تعميرها وان تعطيه اعتبارا فاضلا يكون آخرها سنة ١٩١٣ وان تعطيها ايضا اربعة في المئة من صافي ربحها السنوي في العشر سنوات الاولى من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٠ وستة في المئة في العشر سنوات الثانية وثمانية في المئة في العشر السنوات الثالثة وعشرة في المئة في العشر السنوات الرابعة و١٢ في المئة في المدة الباقية للامتياز اي من سنة ١٩٦١ الى سنة ١٩٦٨ م تعطيها نصف صافي ربحها السنوي عدة الاربعين سنة التي يمتد بها الامتياز ولكن لا دون الربع في سنة من السنين عن مئة مليون فرنك فاشترت الحكومة ٥٠ مليونا والباقي للحكومة واذا عادت في سنة من السنين ايضا ان تعطيها ٥٠ مليونا فاشترت الربع الباقي والاتحاد الحكومة فيه . واضرا ما صار للحكومة من فسخ الاتفاق قد سبق لها ان يكون في الشركة حقوق مالية من الحكومة فيها وهكذا اتحدت الحكومة الاين فيها بدلائها في الشركة .

وهذا بيان عدد البواخر التي عبرت الترعة في كل سنة منذ فتحها الى سنة ١٩٠٨ وبيان الرسوم التي حصلتها الشركة في كل سنة

سنة	عدد البواخر	الرسوم المحصلة بالفرنكات
١٨٦٩	١٠	٥٤٤١٠
١٨٧٠	٤٨٥	٥٢١٠٩٢٣٠
١٨٧١	٧٦٣	٨٩٣٩٧٠٠٠
١٨٧٢	١٠٧٤	١٢١٤٠٢٩٤٩

سنة	عدد البواخر	الرسوم المحصلة بالفرنكات
١٨٧٣	١١٧٣	٩٧٫٣١٩
١٨٧٤	١٢٦٤	٥٩٫٣٨٣
١٨٧٥	١٤٩٤	٨٨٫٣٠٢
١٨٧٦	١٤٥٧	٩٧٤٫٩٩٨
١٨٧٧	١٦٦٣	٧٧٤٫٣٤٤
١٨٧٨	١٥٩٣	٩٨٫٢٢٩
١٨٧٩	١٤٧٧	٦٨٦٫٠٦٠
١٨٨٠	٢٠٢٦	٤٠٫٨٤٧
١٨٨١	٢٢٢٧	٧٤٫٣٥٢
١٨٨٢	٣١٩٨	٤٠٫٨٨٢
١٨٨٣	٣٣٠٧	٤٧٫٨١٣
١٨٨٤	٣٢٨٤	٧٨٫١١٥
١٨٨٥	٣٦٢٤	٧٠٫٤٣٩
١٨٨٦	٣١٠٠	٢٧٫٣٩٠
١٨٨٧	٣١٣٧	٦٢٫٣٧٠
١٨٨٨	٣٤٤٠	٢٫٣٧٣
١٨٨٩	٣٤٣٥	٧٩
١٨٩٠	٣٣٨٩	٤٫٠٠٠
١٨٩١	٤٢٠٧	٢٫١٠١
١٨٩٢	٣٥٥٩	٢٫٤٥٦
١٨٩٣	٣٣٤١	٧٦٧٫٦١
١٨٩٤	٣٣٥٢	٧٦٫٨٢٧
١٨٩٥	٣٤٣٤	٧١٧
١٨٩٦	٣٤٠٩	٧٩٫٩٩٤
١٨٩٧	٢٩٨٦	٣٠٫٠٤٥

سنة	غلة الدواوين	أرصدة المحصلة بالدنانير
٣٥٨	٣٥٠٣	٨٥٢٢٩٤٢٧٢٨
٣٩٠	٣٩٠٧	٩١٢٤١٨٢٧٢٢
٣٩٤	٣٩٤١	٩٠١٦٢٣١٦٠٨
٣٩٩	٣٩٩٩	١٠٠١٣٨٦٠٣٥٢
٤٠٨	٤٠٠٨	١٠٣١٢٢٠١٠٢٠
٤٣١	٤٣٦١	١٠٣٠٦٢٠١٢٥٨
٤٣٧	٤٤٣٧	١١٥٨٨٨٤٤٢٩
٤٤٢	٤٤٤٢	١١٣٨٦٩٢٧٩٥
٤٥٢	٣٩٥٢	١٠٨٢١٩١٨٨٢٢
٤٦٧	٤٦٦٧	١١٩١٠٠٠١٠٩٢
٤٨٥	٣٨٨٥	١٠٨٠١٣١٤٤٠

بيروت حبيب جرجي كحالة

أوضاع الدولة الفاطمية

ملخصة من الدروس التي ألقاها الشيخ محمد الخضري مدرس
تاريخ الأمم الإسلامية في الجامعة المصرية

الصناعة والأسطول

الصناعة هي الشكل الذي أخذ الإنتاج الزراعي والصناعي في مصر على عهد الفاطميين. فقد كانت مصر في أثناء هذا العهد ومنذ أيام العزيز تشحن السلاح وآلات الحرب والمقاتلة منها من ثغر الإسكندرية ومن دمياط وتنيس والفرما إلى جهاد الروم والفرنج. وفي أيام المعز كان يدخل في الأسطول وما إليه فتيان تمرن في البحر صائدة في أفواه المصبات ومتصيدة في أسفل الأرض على الخلجان وغيرها.

وقد كان غزو البحر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الشيخين أبي بكر وعمر وكان عمر يكره الغزو فيه ويراه مخاطرة وكتب إلى عمرو بن العاص وهو إذ ذاك بمصر أن صف لي البحر وأخبرني عن خلقه فإن نفسي تنازعني إليه وذكر أنه ركب البحر فرأى خلقا عظيما